مجلد 08 (عدد 01)/2023، ص 04-20 مجلة العمارة وبيئة الطفل ISSN 2478-0014 EISSN: 2710-8252

# المراكز التاريخية الجزائرية بين الحماية من الاندثار وحتمية المعاصرة. دراسة حالة المدينة القديمة عنابة

# The Algerian historic centers between conservation and contemporaneity. Case study the medina of Annaba

زنير رابح [*1]، صالح صالح هناء [2]، دراجي سيف الدين [3]

[1] جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)، كلية علوم الارض، قسم التهيئة، مخبر التحليل الحضري و البيئي، rabah.zennir@univ-annaba.dz

[2] جامعة 8 ماي 1945 قالمة (الجزائر)،قسم الهندسة المعمارية، مخبر التحليل الحضري و البيئي (عنابة)، hanasalahsalah@yahoo.fr

[3] جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)، كلية علوم الارض، قسم التهيئة، مخبر التحليل الحضري و البيئي، dseifeddine@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2022/06/06 تاريخ القبول: 2022/10/11

**ملخص:** إن الأنوية والأنسجة العمرانية التاريخية تحمل الذاكرة الحية للحياة الثقافية، الاجتماعية و الاقتصادية للمجتمع المعاصر ولهذا وجب الاهتمام بما تحمله من قيمة تراثية، والبحث عن كيفية تثمين هويتنا العمرانية والمعمارية. فالعمران وعلى اختلاف الأمكنة وتغيير الزمن من أهم العناصر التي تساهم في تشكيل الهوية الحضرية والتراث الإنساني، فهو يعكس أهم ما عرفته أو ما مرت به تلك المدينة من الحضارات ومظاهر الرقي أو الانحطاط. من خلال هذه الورقة البحثية سلطنا الضوء على المدينة القديمة بعنابة كنموذج للمراكز التاريخية في الجزائر، حيث لاحظنا ان هذا التراث الإنساني الهام أصبح مؤخرا ونتيجة لعدة عوامل مهددا بالزوال والاندثار، ويأتي ذلك انعكاسا لعدم المحافظة عليه وغياب عمليات الترميم المناسبة والملائمة لمثل هذه المراكز التاريخية. هذا التدهور، إضافة إلى الموقع الاستراتيجي التي تحتله هذه المدينة القديمة كنسيج حضري اول قامت من حوله الأنسجة المتلاحقة (المدينة الاوربية ونسيج ما بعد الاستقلال)، زاد من الرغبة إلى إزالة واقتطاع أجزاء منها تأثرا بتغيرات الوقت الحالي ورغبة في معاصرة المجريات الآنية. منهجية هذه الدراسة اعتمدت على النمط الوصفي التحليلي من خلال مقاربة نوعية تعتمد أساسا على الملاحظة والتحقيق الميداني ومعايشة الوسط لعدة سنوات ومعرفة مجال الدراسة عن قرب، مدعمة بحوارات مع السكان والسلطات والجمعيات المهتمة بالتراث في مدينة عنابة، والتي تأكدنا بعد البحث أن هناك توجها نحو المحافظة عليها.

**الكلمات المفتاحية:** المراكز التاريخ؛ المدينة القديمة عنابة؛ تراث إنساني؛ اندثار؛ معاصرة.

**Abstract :** The nuclei and historical urban tissues carry the living memory of cultural, social and economic life of contemporary society, and therefore it is necessary to pay attention to the heritage value and search for how to preserve and value our urban and architectural identity, urbanization and different places and changing times are the most important elements that contribute to the formation of urban identity and human heritage, it reflects the most important things that I have known or what this city has gone through civilizations and manifestations of sophistication or decadence, Through this research paper we highlighted the old city of Hanaba Kanmudj for the historical centers in Algeria, where we noted that this important human heritage has recently become and as a result of several factors threatened with extinction and extinction, this is a reflection of the lack of preservation and the absence of appropriate and appropriate restorations of such historical centers, This deterioration, in addition to the strategic position occupied by this old city as the first urban fabric around it, has increased the desire to remove and cut parts of it, influenced by the changes of the present time and the desire to contemporary the real-time events. The methodology of this study was based on the descriptive analytical pattern through a qualitative approach based mainly on observation, field investigation, middle life for several years and knowledge of the field of study closely, supported by dialogues with the population, authorities and associations interested in heritage in Annaba, which we confirmed after research that priority and inevitability tend to be maintained.

**Keywords:** historic centers**;** The old city of Annaba; Human heritage; Contemporary; extinction

* المؤلف المرسل

**مقدمة:**

تعرف معظم المدن الجزائرية تناقصا كبيرا في الأوعية العقارية مما أدى إلى عجز في توسيع الحظيرة السكنية، حيث يؤكد الخبراء أن المدن القديمة الاستعمارية وبدرجة أكثر المدن التي تعود إلى الحقبة الإسلامية، تعاني من حالة تدهور كبيرة وسط صمت السلطات والفاعلين في المدينة.

حيث أصبحت المدن القديمة كالسويقة والقصبة في قسنطينة، والمدينة القديمة في عنابة، والقصبة في العاصمة الجزائر ومدن أخرى معرضة للانهيار ومهددة لحياة قاطنيها بشكل يومي.

وتعتبر المدينة القديمة في عنابة والمعروفة بـ " بلاص دارم " محطة هامة من محطات تاريخ بونة العتيق، وهي صورة مصغرة لقصبة الجزائر(عتيقة قاسم، 2012)، من حيث تشابهها في نوعية الهندسة المعمارية و مخطط المدينة ومن حيث نمط البنايات والأزقة الضيقة، كما كانت المدينة العتيقة بعنابة وفية لمخططات المدينة الإسلامية، حيث تضم المساجد والحمامات و الأسواق الشعبية و دكاكين الحرفين، و تعتبر من أهم معالم التراث الذي تزخر به المدينة، والذي يستقطب الزوار و السياح وتسيل الكثير من الحبر في دراسات مستمرة من قبل الباحثين في عدة مجالات، و ذلك رغم التدهور المستمر الذي تشهده .

في هذا السياق تأتي هذه الدراسة بهدف تسليط الضوء على المدينة القديمة الجزائرية ذات الطابع الاسلامي، بين حتمية المحافظة وواقع الاندثار وحتمية المعاصرة، مما يستلزم التفكير في مستقبل هذه المدينة العريقة المحصور بين الإرث العمراني التاريخي والتحولات التلقائية )بن غضبان فؤاذ، 2011).

من الناحية المنهجية تعتمد هذه الدراسة على الجانب الوصفي التحليلي، من خلال مقاربة نوعية تعتمد أساسا على الملاحظة والتحقيق الميداني ومعايشة الوسط لعدة سنوات و معرفة مجال الدراسة عن قرب، مدعمة بحوارات مع السكان والسلطات و الجمعيات المهتمة بالتراث في عنابة بهدف معرفة رأي السلطات، المجتمع المدني و السكان و مناقشة السياسة المنتهجة من أجل الحفاظ على هذا التراث و كيفيات استرجاع ما يمكن استرجاعه، كما تطرقت الدراسة لمعرفة تأثير المشاريع العصرية على المدينة المبنية منها، و الموجودة قيد الدراسة على غرار مشروع القطب التجاري " *shopping mall* " .

## 1. المراكز التاريخية والمعاصرة بين المسموح والمحظور

يمكن وصف العصرنة بأنها عملية تحويل وتطوير يتم من خلالها تحسين الخصائص التقليدية، سواء كانت تخص البيئة الاجتماعية، الاقتصادية، الدينية، السياسية والثقافية، وذلك من الناحية التكنولوجية والأيديولوجية لتلبية المعايير الدولية من خلال إدخال الأساليب والمواد الحديثة.

وتجدر الاشارة إلى أن مفهوم العصرنة أو التحديث يمكن أن يحمل التباسا بسبب الاثار السلبية للاستعمار أو بسبب تيار العصرنة في الهندسة المعمارية ورؤيته لـ"*Tabula rasa*" .

في هذه الورقة البحثية، سنستخدم مفهوم المعاصرة كمفهوم أكثر ملائمة للعصر الحالي بعيدًا عن كل المخلفات السلبية والتي تأتي كتغيرات هيكلية في المجتمع، وتشكيل السلطات السياسية، وخلق اقتصاد رأس المال، زيادة الموارد والقوى الإنتاجية، وتطور أنماط الحياة الحضرية، والشعور بالهوية الوطنية، وعلمنة القيم والمعايير، إضافة لعوامل أخرى.

حيث تعد العمارة وتخطيط المدن من بين قضايا النقاش والمواجهة بين جبهتين هما: التقليديين والحديثين، وهو موضوع يكتسب أهمية أكبر عندما يتعلق الأمر بالمراكز التاريخية، حيث يتم إحباط أي رغبة في إدخال التغيير، من خلال المحظورات المتعلقة بالتراث. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف نحقق المعاصرة مع الحفاظ على الأصالة؟

ويتطلب حل هذه المعضلة البحث في الماضي، بحثًا نقديًا، دقيقا وواعيا. اذ من الضروري إنشاء معالم تاريخية اين سيكون تطور العمارة والتخطيط الحضري له علاقة بالتاريخ (MECHTA K ,1991) . فالمعاصرة تعني طفرة ثابتة، مع الحرص على أنها لا تتم على حساب الإنسان. ومع ذلك، فإن الاهتمام بالحفاظ على المراكز التاريخية لا يجب ان يتجاهل الحاجة الطبيعية للمؤسسات البشرية، مهما كانت طبيعتها في التطور.

وهنا يكمن وزن واهمية التاريخ في هيكلة ديناميكية التغيير، ولهذا سنقوم بالعودة الى دراسة تاريخ حالة الدراسة من أجل تحديد الجوانب الأكثر أهمية وذات الصلة بالموضوع.

**2. نبدة تاريخية عن المدينة القديمة عنابة:**

مرت مدينة عنابة بعدة حضارات، مرورا بالنوميديين ثم الفنيقين، الرومان، الوندال، البيزنطيين إلى غاية وصول المسلمين الذين فتحوا مدينة عنابة، لتشكل مع مدن أخرى بلاد المغرب الإسلامي (بن غضبان فؤاذ، 2011). وتعتبر عنابة دون أي شك كواحدة من مدن شمال أفريقيا ذات الأصل الأبعد، حيث أن تأسيسها يعود بإجماع المؤرخين إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، و يعود تاريخها على الأقل إلى بناء "*Ipponaou Ibouna*" من قبل الفينيقيين، الملقبون بشعوب "البحر"، و الذين شيدوا فيها ميناء تجاريًا (Derdour , 2013).

بعد سقوط قرطاج، أعيدت تسميتها "*Hipporegius*" من قبل الرومان وعاشت تحت حكمهم لمدة اربعة قرون، فكانت لفترة من الزمن عاصمة إفريقيا نوفا.''*Africa Nova*'' و كتابات المعاصرين لهذه الفترة مثل Strabon، Silius Italius، تشهد على ازدهارها خلال العصور القديمة (DAHMANI, 2014) . في نهاية القرن الرابع استقر اوغستان فيها وجعل منها مركز للفكر المسيحي الغربي (COTE & Camps, 1988). دمرها الوندال، ورممت وأعيد بناؤها في العهد البيزنطي.

بعد ذلك في بداية القرن الثامن تقريبًا بعد قدوم المسلمين في عهد الزبيرين سنة 705م إلى المنطقة بقيادة حسن بن نعمان الغساني وبهذا الفتح الإسلامي، أسست بونة أو مدينة سيبوس ليتناسى اسم هيبون تدريجيا، بتحويل في موضعها إلى ربوة تسمى (عقبة العناب) على بعد 3 كيلومترات شمال موقعها الأصلي، وتشير المصادر التاريخية إلى أن تغير الموقع كان بسبب الظروف غير الصحية الناجمة عن الفيضانات المتكررة والمستنقعات قرب واد سيبوس.

توالى على حكمها الاغالبة من 769 –902 م حيث شهدت المدينة في ذلك الزمن ازدهارا كبيرا بفضل مينائها الذي احتل المرتبة الأولى في العالم العربي، ثم الفاطميين من 910 –973 م الذين أعطوا للمنطقة أهمية جيدة باستغلالهم للمرجان، وكانت فترة حكم الزيريين الممتدة من 973–1005 م، فترة حاسمة شيدت فيها مدينة بونة الحديثة، من طرف محمد زاوي بن زبير.

لكن إذا فحصنا بعمق السياق الجيوسياسي في ذلك الزمن، نجد أن هذه العملية لتغيير الموضع، تدخل في سياسة جهوية أوسع تهدف لبعث الحيوية على الواجهة البحرية المغاربية، في ظل تدافع التجار الأندلسيين، الذي نجحوا مند نهاية القرن التاسع في تأسيس عدة مدن بحرية (وهران، تنس...) (PICARD, 2003).

في الواقع بونة دخلت في هذا التوجه البحري للحكم الإسلامي في المغرب الذي حاكى موقعها الجديد المطل على البحر وأخد طابع المدينة المتوسطية المحصنة في ذلك القرن، غير أن هذه الحصون للأسف لم يتبقى منها سوى آثار قليلة وذكريات توارثها الاجيال، حالها حال الأبواب الأربعة للمدينة وهي: باب المقبرة، باب قسنطينة، باب السكان، باب البحر.

أما ابان فترة حكم الموحدين خلال 1130–1270 م، فقد عملوا على الدفاع عن المدينة وتطوير مينائها، إلى غاية مجيء الحفصين (1228–1574م) حيث شهدت المدينة توسعا عمرانيا كبيرا وخلالها تم إنشاء القصبة على جبل عابد على 500م شمال موضع بونة الحديثة.

بعدها تعرضت مدينة بونة إلى الغزو الاسباني بعد إرسال الإمبراطور الاسباني Charles Quint لأسطوله سنة 1535، ولقطع كل اتصال مع العالم الخارجي، وأمر الإمبراطور بهدم السور الذي يربط المدينة بالحصن. ومع ذلك، واجهت الحصار البحري الذي فرضه الأتراك والسكان، حيث انتهى الأمر بشارل الخامس عام 1540 بالاستسلام والإجلاء من بونة.

وبعد رحيل الأسطول الإسباني قامت السلطات التركية بتحصين المدينة ومنحتها رصيف متواضع يعلوه حصن سيغوني (Fort Cigogne)، وبقيت المدينة تحت سلطة بايات قسنطينة، ومن بينهم صلاح باي (1775 – 1792) الذي ترك فيها أكبر عدد من الآثار (مسجد الباي). وفي نهاية الفترة التركية، اسم المدينة يتغير مرة أخرى، الى "مدينة العناب"، والتي تعتبر محافظة مهمة من بايليك قسنطينة.(Grandet, D 1992)

**صورة رقم (1): حصن سيغوني (Fort Cigogne)**

المصدر: *https://www.pinterest.fr*

**صورة رقم (2): بونة الحديثة والقصبة سنة 1837 م**

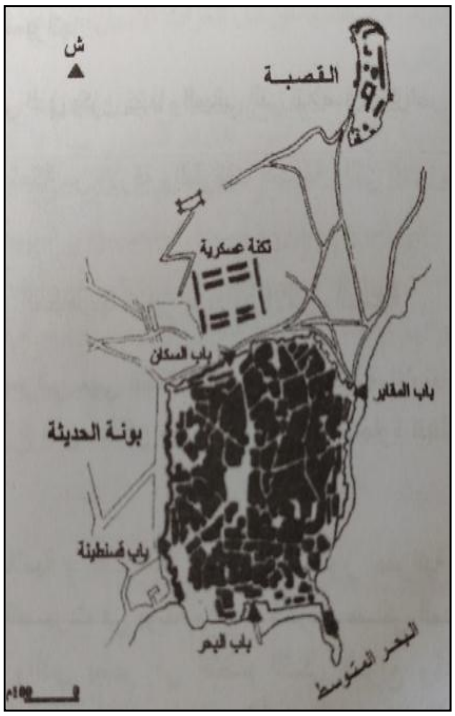


المصدر: (بن غضبان فؤاد، 2011)

**صورة رقم (3): بونة الحديثة سنة 1843 م ( *Adrien Berbrugger*)**

المصدر: (*Adrien Berbrugger*)

### 1.2. موقع المدينة القديمة:

تقع المدينة القديمة لعنابة في جنوب شرق بلدية عنابة بمحاذاة البحر المتوسط على مساحة 16 هكتارا وبارتفاع أقصاه يصل الى 40 م على مستوى سطح البحر.

**خريطة رقم (1): موقع المدينة القديمة لعنابة**

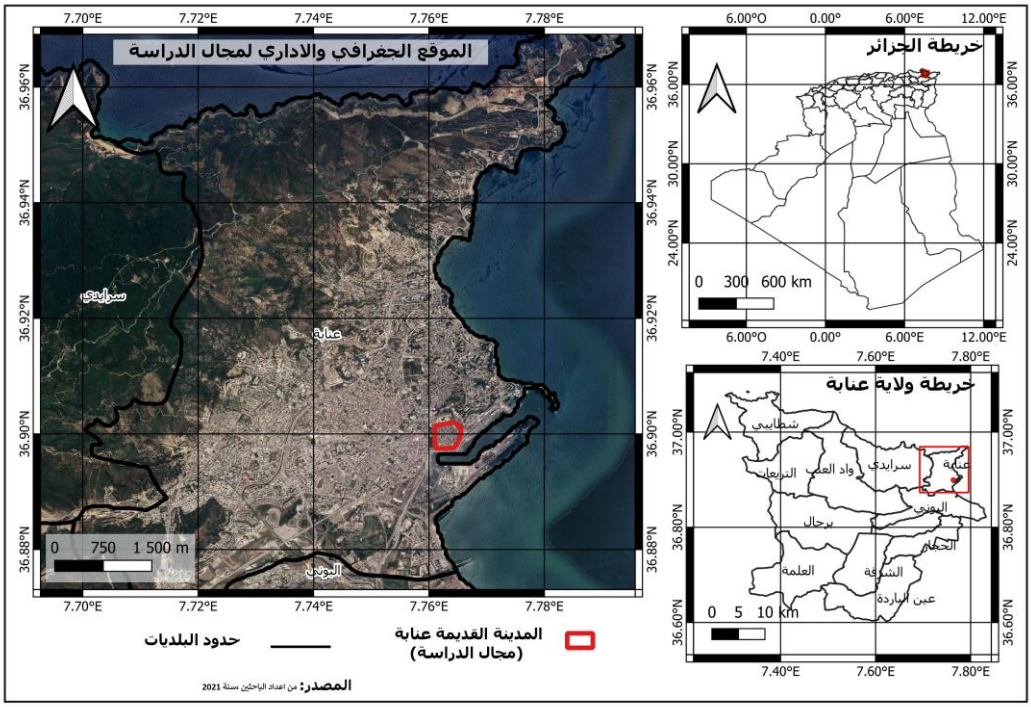


المصدر: (إعداد الباحثين، 2021)

يحدها:

- ✓ شمالا: شارع 19 جوان سابقا (فيكتور هوجو )
- ✓ شرقا: جدار شاطئ البحر
- ✓ جنوبا: شارع ما قبل الميناء ( l'avant-port)
- ✓ غربا : ساحة الثورة (المدينة الأوربية)

**شكل (1): حدود المدينة القديمة عنابة (من اعداد الباحثين، 2021)**

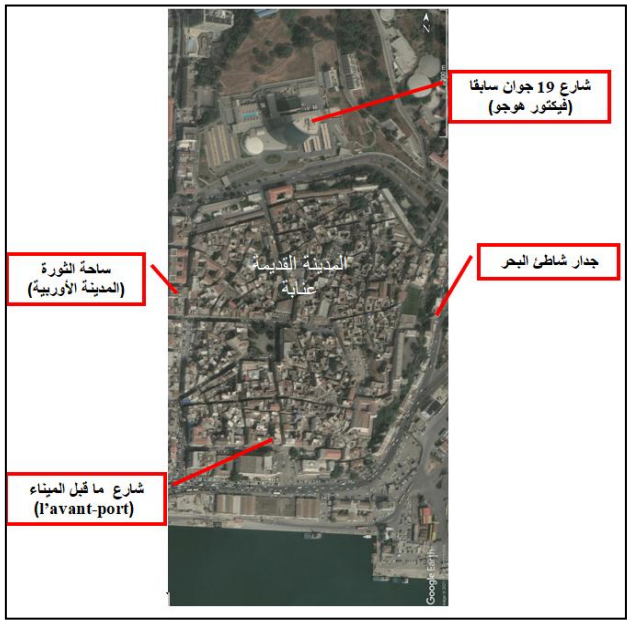


المصدر: (إعداد الباحثين، 2021)

**2.2 التغيرات التي مست المدينة القديمة إبان فترة الاحتلال الفرنسي 1830-1962 :**

شهدت مدينة عنابة بدخول الاستعمار الفرنسي إليها إبتداءا من سنة 1832، تدخلات عمرانية ومعمارية عديدة، تمثلت في وضع مخططات عمرانية لتجديد المدينة وتكييف نسيجها مع الأغراض الاستعمارية، وذلك بالتدخل على النسيج العمراني للمدينة القديمة (مدينة بونة) بعمليتين متتاليتين: الأولى كانت سنة 1833م والثانية سنة 1844م.

و قد شملتا تغيير شكل الوحدات العمرانية بشق طرق جديدة و توسيع الساحات الموجودة و إنشاء أخرى جديدة، عن طريق هدم العديد من المساكن ذات الطابع العربي الإسلامي، و تشكيل مدينة ذات طابع أوربي (ساحة الثورة حاليا) وتوسيع المدينة في الفترة 1865-1870 لتكون مساحتها 68.33 هكتار وربط المدينة بالمناطق المجاورة و إنشاء خط للسكة الحديدية سنة 1874م (Prochaska, D. l990).

كما تجدر الإشارة أن اسم المدينة القديمة لعنابة " بونة الحديثة '' قد تغير وأصبح "*place d'armes*"، بمعنى ساحة العرض العسكري نتيجة للتحول الوظيفي للمدينة خلال مرحلة الاستعمار الفرنسي، إذ كانت غالبية مبانيها بمثابة ثكنات عسكرية.

وخلال الفترة 1900-1925 شهدت المدينة توسعا يعتمد على النمط الجماعي الأوربي الذي تركز في الجهة الغربية، والجهة الشمالية على طول الشواطئ حيث تم إنشاء مساكن فردية على شكل فيلات لكبار المعمرين بالمدينة، بالاضافة لسكنات جماعية. هذه التوسعات رافقها إنشاء شبكة من الطرق المهيكلة وتوقيع بعض الوحدات (الورشات) الصناعية البسيطة المنتشرة داخل النسيج العمراني للمدينة وأخرى مجاورة للميناء، ومع اندلاع حرب التحرير 1954 شهدت مدينة عنابة توافد أعدادا كبيرة من النازحين والذي رافقها تدهور الحياة الاقتصادية والاجتماعية للأهالي : انتشار البطالة، تدني مستوى المعيشة، الأمية ...الخ، مما أدى إلى ظهور مخطط عمراني جديد لتوسع مدينة عنابة يندرج ضمن مخطط قسنطينة 1958.

**شكل (2): مخطط المدينة الإسلامية القديمة عنابة**

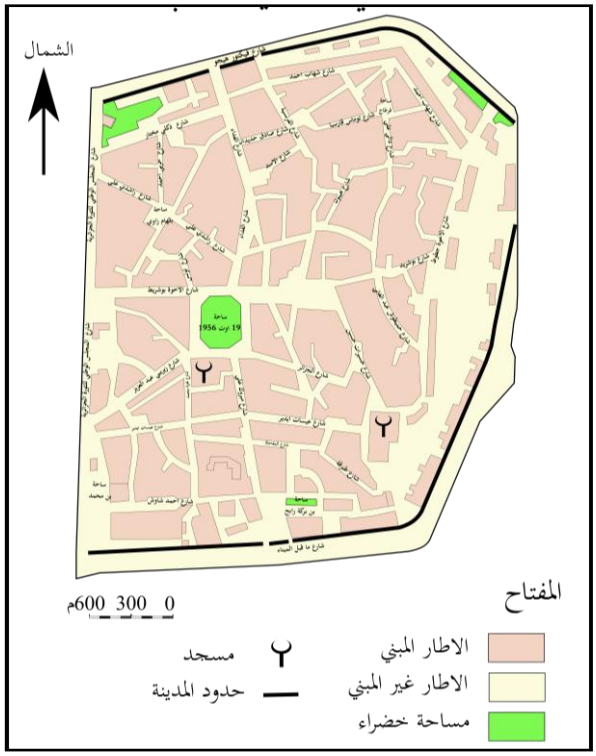


المصدر: سيف الدين دراجي، زنير رابح اعتمادا على مخطط مدينة عنابة

أما بعد 1962 تاريخ استقلال الجزائر، فعرفت المدينة أشكالا حضرية ومعمارية جديدة تختلف عن التراث الحضري والمعماري للمدينة العربية الإسلامية، حيث عرفت مدينة عنابة نزوحا ريفيا كبيرا من الولايات المجاورة وكذلك مع عودة اللاجئين الوافدين من تونس، حيث شغلوا مساكن الأوربيين التي تركها المعمرون.

**شكل (3) : العلاقة بين الانسجة الحضرية في المركز التاريخي لعنابة**

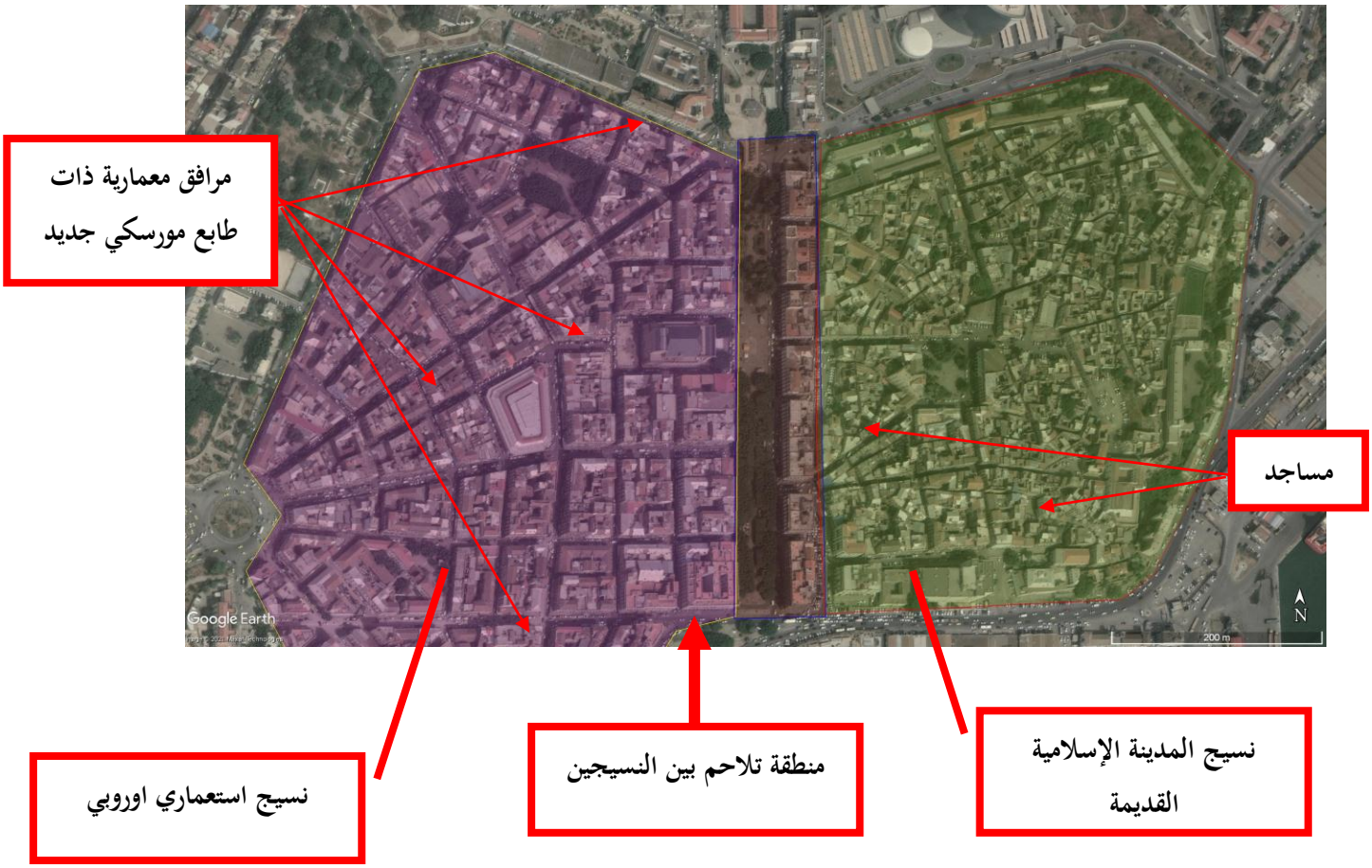


المصدر: (SALAH SALAH H. , 2017) (بتصرف من الباحثين)

بعد 1966 عرفت المدينة حركية اقتصادية ببناء مركب الحجار للحديد والصلب (S.N.S) و تشغيله سنة 1967، حيث بلغ عدد العمال في الفترة 1970-1980 ما يقارب 25000 عاملا معظمهم قدموا من المناطق الريفية لولاية عنابة و من الولايات المجاورة (قالمة، سوق أهراس، تبسة، سكيكدة، جيجل ...)، و مع التحاق عائلتهم فيما بعد تزايد الطلب على السكن، حيث اختل التوافق بين المساكن المبرمجة عشرة ألاف مسكنا و الاحتياجات 28 الف، فظهرت الأحياء القصديرية خاصة على مستوى منطقة سيدي سالم و منطقة بوحمرة و أطراف المدينة. وتواصل نمو النسيج الحضري بوتيرة سريعة إلى يومنا هذا، حيث تشهد المدينة نقصا كبيرا في الأوعية الحضرية.

### 3. الجهود والآليات لتسيير وحماية التراث العمراني للمدينة القديمة لعنابة

يحمل مفهوم حماية التراث في القانون الجزائري دلالتين تُكمل إحداهما الأخرى، الأولى يُقصد بها حماية التراث من مباني وآثار ومواقع أثرية وتاريخية، حيث يتمّ الحفاظ عليها كحال وجودها وعدم المساس بها أو إحداث أيّ تغيير عليها مهما كان بسيطاً، وكذلك حمايتها من السرقة والنهب والسلب أو التهريب. (دريس باخويا، 2016)، حيث ان حماية التراث في الجزائر مر بمرحلتين استعمارية وما بعد الاستقلال (ZERTI M. 2021)

سنركز في هذا القسم على السياسات والاستراتيجيات المختلفة لحماية التراث وتطويره منذ الاستقلال والتي أدت في النهاية إلى تصنيف المدينة القديمة لولاية عنابة، كقطاع محمي بموجب المرسوم التنفيذي في ماي 2013 . لكن قبل الخوض في التصنيف، سنتطرق إلى المحاولات المختلفة التي سعت للحفاظ على المدينة القديمة لولاية عنابة منذالاستقلال إلى غاية يومنا هذا.

كانت الخطوات الأولى جد حتمية لتصنيف بعض المعالم التاريخية البارزة للتاريخ العمراني للمدينة ضمن محميات التراث، وذلك حتى نهاية السبعينيات مثل قلعة القصبة و حصن التعذيب، (صنفا كتراث وطني حسب الجريدة الرسمية رقم 52 في 1978/11/20 )، بقايا الأسوار ، ضريح سيدي إبراهيم خارج اسوار المدينة (*extra muros*) ، ومؤخراً مسجد صالح باي ومسجد أبو مروان. هذه المحاولة الأولى لم تحمي المدينة القديمة من تدخلات بعض المسؤولين ضد المعالم التاريخية (اين كان من المقرر هدم قبة سيدي إبراهيم بناء على تعليمات من الوالي، في عام 1976).

جاءت الرؤية العالمية للمدينة القديمة كمجموعة حضرية في وقت لاحق. حيث كانت المحاولة الحقيقية الأولى لحمايتها بقيادة رئيس البلدية توفيق شكمان سنة 1980، و الذي كان مدركًا للإمكانات البشرية التي يقدمها السكان المقيمون في "المدينة القديمة". ولقد تمثلت مداخلته في إشراك السكان في حماية أحيائهم، من خلال المناقشات المتبادلة معهم وخلق الوعي لديهم باتباع سياسة الحفاظ على هذا التراث. لكن هذه المبادرة انتهت برحيل رئيس البلدية.

وفي عام 1984، أطلقت الولاية مبادرة جديدة تتجه نحو الاعتراف بالقيم التي تنقلها هذا المجال. هذه المحاولة مستوحاة من التأكيد على تعزيز وحفظ التراث الوطني التاريخي، الوارد في القوانين الأساسية منذ المؤتمر الرابع للحزب الوحيد الذي كان في السلطة آنذاك، المعروف باسم جبهة التحرير الوطني.في هذا السياق تم إنشاء خلية تفكير حول مسائل الحفاظ على المدينة القديمة وإعادة تأهيلها في جويلية 1984. جمعت هذه الخلية المتعددة التخصصات: مديرية التعمير و البناء والسكن (DUCH)،ومديرية التخطيط وتهيئة الإقليم (DPAT)،المجلس الشعبي البلدي (APC)، محافظة الموقع الاثري هيبون (Hippone)، اضافة الى اطراف آخرين. بعد عدة أشهر من النقاش، تبنت هذه الخلية وثيقة تحدد التوجهات والمبادئ لحماية المدينة القديمة لولاية عنابة.

في ضوء هذه الإرادة السياسية المدعومة بتاريخ عنابة العريق، اعلنت خلية التفكير أن المدينة القديمة التاريخية "**منطقة محمية**" بصفتها مركزًا تاريخيًا وتجمعًا حضريًا خاصا. ومن ثم، فإن هذا الإجراء سيضع المدينة القديمة تحت حماية المرسوم 67-281 المؤرخ في 10 ديسمبر 1967 المتعلق بالحفريات وحماية المواقع والمعالم التاريخية والطبيعية، وستخضع أي أعمال تدخل على مستوى هذا المركز التاريخي إلى مرتفقات الآثار المصنفة. وعليه، فإن إعلانها "منطقة محمية" سمح بجعل مفهوم "الآثار المصنفة" أكثر مرونة، لا سيما من حيث التدخل، كما هو وارد في الفصل الرابع – 2- من مرسوم (مبادئ التدخل). فضمن هذه "المنطقة المحمية"، سيتم تحديد وجرد المعالم الاثرية أو المجموعات الأثرية وفقًا لجانبين: الجانب التاريخي والجانب الوظيفي.

تميز عمل الخلية المتعددة التخصصات بفترتين تاريخيتين رئيسيتين، مرتبطتين مباشرة بحياة المدينة القديمة:

- ❖ الفترة من عام 1000 إلى عام 1832، والتي يمكن تقسيمها بدورها إلى عمرين:
  - عصر الخلافات الإسلامية المستقلة (من الصنهاجة إلى الحفصيين).
  - عصر الدولة الجزائرية الحديثة (1540-1832) (الانضمام الى الإمبراطورية العثمانية).
- ❖ الفترة الاستعمارية من 1832 إلى 1962 و التي تنقسم أيضًا إلى مرحلتين:
  - المرحلة من عام 1832 إلى حوالي عام 1860، عندما استخدم الاستعمار المدينة القديمة بشكل فعال وأعاد تطويرها وفقًا لاستخدامه الخاص.
  - المرحلة من 1860 إلى 1962، حيث تم تهميش المدينة القديمة بشكل تدريجي.

كانت هذه الرؤية التاريخية وفق التسلسل الزمني إلى حد ما ثورية في ذلك الوقت، بحكم المرحلة الاستعمارية وكل ما أنتجته كمرحلة لا تنفصل عن تاريخ المدينة القديمة المعاش، مما سمح باعتبارها ككيان تاريخي فريد. ومع كل تقسيمتها الطبقية (قبل الاستعمار واثناءالاستعمار) تم تصنيف الآثار والمجموعات الأثرية وظيفيا إلى ثلاثة أنواع على النحو التالي:

- ❖ **الآثار الدفاعية**:
  - الأسوار قبل عام 1832 وما بعد عام 1832
  - القلعة الحفصية.
  - حصن التعذيب.
  - الثكنات التي تم تحويلها إلى معهد IAP ثم كلية الحقوق .
  - مبنى القطاع العسكري (الخدمة الوطنية حاليا).
  - مأوى الضباط السابقين (ساحة بن بكة).

❖ **المعالم العمومية:**

- قبل عام 1832: مسجد أبو مروان، مسجد الباي، الخطب، ومقابر الشخصيات الدينية، مدارس قرآنية، المقابر (زغوان على وجه الخصوص).
- بعد عام 1832: دار البلدية؛ القصر القنصلي، غرفة الزراعة؛ المدارس، ساحة 19 أوت.

❖ **السكان والاقتصاد:**

- النواة المركزية ككل قبل عام 1832.
- الحلقة المحيطية من النوع الاستعماري والأوروبي.

كل هذه المعالم والآثار، التي تشكل جزءًا من "المنطقة المحمية" موضوعة تحت حماية الدولة (القانون 67-281؛ المادة 19).

بعد ذلك، صدر قرار مهم للغاية وفريد من نوعه في البلاد، مستوحى من ورشة مزاب،حيث تقرر إنشاء ورشة لترميم وإعادة تأهيل مدينة العصور الوسطى، والتي أسست داخل المدينة القديمة. تألفت الورشة من مجموعة مهندسين قاموا بعمل احصائي ودراسات، حيث تم تنفيذ عملية إعادة تأهيل تجريبية، وبالتالي تم التكفل بالمدينة القديمة، وفقًا للمخطط العام الذي أوصت به خلية التفكير.

تقدمت وتطورت الورشة، حيث تم إثراء رصيدها من الوثائق المرسومة والخرائط اللازمة. لكن كل هذا العمل اختفى في اضطرابات وتقلبات أيام أكتوبر 1988. أين اختفت الورشة، ولا ندري ماذا حدث لأرشيفها. في الفترة 1995-1996، تم إنشاء منظمة جديدة تحت إشراف الولاية بهدف استئناف أعمال التعداد في المرحلة الأولى، مع مشروع أعمال الترميم في المرحلة الثانية. لكن الإجراء توقف فجأة، بسبب انتهاك النصوص التي أنشأت المنظمة.

في عام 2013، أثمرت الجهود المبذولة للاعتراف بالمدينة القديمة بإصدار مرسوم تنفيذي ينص على أن " *القطاع المحمي في مدينة عنابة القديمة يشكل مجمعا عقاريا حضريا متجانسا يتسم بغلبة المناطق السكنية، وهو ما يمثل اهتمام تاريخي ومعماري وفني وتقليدي يمثل العصور التاريخية التي مرت بها المنطقة: القديمة، الإسلامية، الحديثة والمعاصرة* ". فالمدينة القديمة تنتظر حاليا مخطط حماية.

وهكذا منذ عقود، لم يتم حل مسألة التكفل بالمدينة القديمة، لكن من الواضح أن المحاولات القليلة تتجدد وتلتزم في كل مرة بنفس الطريقة، دون ابتكار، ودون مراعاة للإخفاقات السابقة وفي النهاية، بدون نتائج. وهكذا، وبالرغم من الأهمية التي لا يجب إنكارها للمدينة القديمة لعنابة، إلا أنها لم تتمكن من أن تدرج في انشغالات المخططين الذين غالبًا ما استبعدوها من البرامج الحضرية، متخذين تناقص سكانها كذريعة ومن تم حرمانهم من المكان الضروري والمناسب لغرس سياسة حضرية محافظة، ولكن هل تم إثبات ذلك حقًا؟

فالعمليات تمس أساسا المساكن بالنظر لوجود أولوية في السكن(KABOUCHE M, 2008) (CHAOUI S , 2019) ، وذلك من أجل تحسين نوعية حياة السكان.

من المهم الإشارة أن معظم المباني ذات حالة متوسطة أو هشة وفي الطريق إلى الهدم ونسبة قليلة في حالة مقبولة أو جيدة. (انظر الجدول رقم 1). كما أن الطبيعة القانونية للمباني تمثل عائقا يمكن أن يواجه أي عملية تدخل حضري، حيث أن 76% عبارة عن ملكية خاصة، 18 % تابعة لوكالة التسيير العقاري OPGI، و6 % فقط تابعة لأملاك الدولة.

**جدول رقم (1): حالة المباني للمدينة القديمة عنابة**

| | حالة جيدة | حالة متوسطة | حالة متدهورة | مهدومة | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|
| العدد | 73 | 327 | 132 | 36 | 568 |
| النسبة % | 7,1 | 57,1 | 29,5 | 6,3 | 100 |

المصدر: مخطط شغل الأراضي 2006

ويمكن القول بعد عمليات التشخيص التقني التي أجرت على حالة المباني، أن ذات العمران العربي التركي منها هي الأكثر تدهورا وتأثيرا مقارنة بمباني الحقبة الاستعمارية الفرنسية ذات الطابع الأوربي، إضافة أن المناطق الأكثر تأثيرا يقع في المنطقة العليا من المدينة القديمة حيث همشت من طرف

مخططات الترميم المختلفة. ويجدر الذكر أن المباني التي في حالة متوسطة معرضة إلى خطر الهدم الدائم، إذا لم يتم تدارك الوضع والقيام بعمليات ترميم وصيانة (د/ سعيدون ليلى، 2017).

المدينة القديمة بعنابة مصنفة منذ 2013، كمنطقة محمية، بموجب مرسوم تنفيذي رقم 13-186 مؤرخ يوم 06 ماي 2013، لكنها تنتظر مخطط حماية، والسؤال المطروح ماذا قدم هذا التصنيف المذكور في المرسوم، للحفاظ على المدينة ولاستعادة بريقها؟ لان مخطط شغل الاراضي الذي تسير به المدينة القديمة حاليا يبقى عام ولا يلائم طابع المدينة القديمة.

كما ان دراسات حديثة اهتمت بموضوع مخطط الحماية وماذا يقدم للمدينة القديمة ((Salah-Salah H. 2020 و (Salah-Salah H. 2018) لكن الواقع يشهد بحالة كارثية.

كما أن الإجابة على التساؤل المطروح أعلاه لا تتطلب أبحاثا عميقة بل يكفي التوجه للمدينة القديمة ورؤية أطلال المدينة أمامنا (انظر الصورة 04).

في هذا السياق قامت مديرية الثقافة و الديوان البلدي لترميم و تهيئة المدينة القديمة (OCRAVA ) ، سنة 2010 بعملية ترميم مست مسجد صالح باي، كمبادرة أولى لصالح التراث المعماري للمدينة، لكنها تبقى غير كافية و غير فعالة سواء من الجانب التقني أو تعزيز الجانب التاريخي المعمق للمدينة والهوية التي تعكسها.

**صورة رقم (4) : انهيار الكثير من مباني المدينة القديمة**

المصدر: مأخوذة من طرف الباحثين، سبتمبر 2021

نفس المصير كان من نصيب مسجد أبو مروان الذي يعد جامعة المذهب المالكي فقد استفاد من عمليات محتشمة اقتصرت على الواجهة.

من جهة أخرى، وفي مقال صحفي في جريدة الحدث اليومي هذا جزء مما جاء فيه " من المنتظر تسليم نحو 50 بناية قديمة تمت تهيئتها من طرف الجهات المعنية بعنابة بعد ترميمها وربطها بمختلف المرافق الضرورية على غرار الكهرباء والماء. وستدخل السكنات والمباني الهشة مرحلتها الثانية لاستكمال أشغال الترميم، وقد رصد للعملية غلاف مالي معتبر قدر بـ 15 مليار سنتيم، ويركز ديوان ''الأكرافا'' على حماية تراث مدينة عنابة من خلال الحفاظ على الجانب الجمالي للمنطقة دون الإخلال بالسكنات والمساس بمنظرها الخارجي.

وفي سياق متصل، أحصت مديرية البناء والتعمير بعنابة نحو 120 مبنى سيعرض على مكاتب الدراسات لإعداد دراسة خاصة له، ومن ثم تصنيفه ضمن الملفات التي ستستفيد من عملية الترميم، علما أن هناك 22 مبنى آخر موزعا على مستوى أحياء برمة الغاز وجبانة اليهود ولاكولون تنتظر

التهيئة منذ سنوات. تجدر الإشارة إلى أن الجهات المعنية قد شرعت في عملية التعديل الجزئي لمخطط شغل الأراضي، الذي يشمل عدة بلديات منها عنابة والبوني والحجار (خديجة انفال، 2019)

إضافة إلى أن السكان قاموا سنة 2019 بعمليات ومبادرات شملت بعض أشغال التهيئة للواجهات والأرصفة والطرقات الضيقة لبعض أجزاء من المدينة، كما يجب تثمين الدور الذي تلعبه جمعية مدينة للحفاظ على تراث في الدفاع على المدينة وتشجيع كل مبادرات الترميم وإعادة بريق المدينة.

في أعقاب هذه الحركية المجتمعية الناشئة التي انخرط فيها المجتمع المدني العنابي، وكما سلف الذكر ظهرت العديد من المنظمات والجمعيات الناشطة في قطاعات مختلفة، بما في ذلك التراث، لأن سكان عنابة يستنكرون تدهور حالة المدينة القديمة ويتحدون في جمعيات ومجموعات تطوعية للعمل من أجل اطارهم المبني الغني والمتنوع تاريخيا.

كانت المدينة القديمة في قلب اهتمامات هذه الشريحة من السكان الذين يحاولون بنشاط تغيير الصورة السلبية التي تعكسها (الرونق العنابي، موقع تراث عنابة، الدراجة الخضراء (Green Bike)،... إلخ). إن الولوج إلى الإنترنت وتكنولوجية المعلومات والاتصالات الجديدة سهلت مهمة المتطوعين وسمحت بإضفاء الاحترافية على مختلف العمليات والجهات الفاعلة، من خلال الترسيخ الاجتماعي باستعمال الحملات التوعية للسكان، وأيضًا من خلال تراكم الخبرات التي تأخذ نطاقًا أكبر في كل مرة.

العمل الذي تم في مسجد الباي هو أحد الأمثلة الابرز التي تعكس الإرساء الاجتماعي المتكون من نقطة الصفر من قبل مجموعة متطوعة تسمى "عنابة-تراث". حيث بدأت المجموعة، التي تولت أعمال التوثيق والتوعية عبر موقعها الإلكتروني، وقاموا بخطوات ملموسة على الواقع بحملات لجمع التبرعات أُطلقت عبر الشبكات التواصل الاجتماعي. لم تكن الفكرة الأولية سوى طلب مشاركة سكان المدينة، للحصول على مضخة من أجل ضخ المياه الجوفية بانتظام التي تهدد هيكل المبنى.

ولقد لفت العمل التوعوي المستمر انتباه المجتمع العنابي إلى الأهمية التاريخية والمجتمعية لمبنى تشهد هندسته المعمارية شهادة لا تمحى على التعايش السلمي بين العرب والأتراك قبل فترة طويلة من وصول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر

**صورة رقم (5)و( 6) : مساهمات السكان في تهيئة المدينة القديمة**

المصدر: الباحثين، 2020

## 4. المدينة القديمة امام تحديات المعاصرة:

### 1.4 تحديات عقارية:

عرفت الجزائر منذ عام 1990 إصلاحات اقتصادية أدت إلى التحرير التدريجي للاقتصاد الوطني إلا أنه وعلى صعيد آخر فإن سياسات الأراضي التي جربت منذ ظهور الليبرالية أظهرت حدودها. عنابة وعلى غرار أغلبية المدن الجزائرية تعرف مشاكل عقارية من بينها ندرة الأراضي، سوء التسيير والأزمات السياسية.

يمكن تفسير ألعاب القوة حول القضايا العقارية في عنابة بين القوة المركزية والسلطة المحلية، من ناحية؛ وبين القطاعات المختلفة وخاصة السلطات المحلية والقطاع المسؤول عن الاستثمار من ناحية أخرى.

يعتبر العرض الاقتصادي للأراضي في عنابة (كما هو الحال في معظم المدن الجزائرية)، مشروطا إلى حد كبير بالتوسع الحضري الحالي والماضي. فأمام حتمية المعاصرة وأزمة العقار الحضري التي تعرفها مدينة عنابة منذ عام 2000، أصبح تحقيق برامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية يعرف صعوبات كبيرة بسبب عدم القدرة على تعبئة قواعد الأرض. فمع تقسيم الإدارة الاقتصادية للأراضي إلى قطاعات لم يعد للسلطة المحلية للأراضي الحق في النظر إلى أراضيها حيث أن كل شيء أصبح في أيدي وكالات وطنية قوية مما يجعل الوضع أكثر تعقيدًا.

إذن، فإن الرغبة في العصرنة ومسايرة نسق المدن الكبرى المجاورة على غرار قسنطينة وسطيف من جهة، وأزمة الأراضي من جهة أخرى أديا إلى تسليط الضوء على المدينة القديمة كخزان عقاري مهم في مركز المدينة، فبالرغم من الطابع التراثي للمدينة العتيقة إلا أنها لم تسلم من عمليات هدم منذ الاستقلال إلى يومنا هذا. حيث أن تأخر مخطط حفظ التراث (كما سبق ذكره فيما سبق) يطرح عدة تساؤلات خاصة فيما يخص استباحة استعمال المدينة القديمة كجيوب عقارية للمطورين العقارين لبناء مشاريع حديثة بالنظر لموقعها الاستراتيجي.

في هذا السياق واجه مشروع المركز التجاري الجديد انتقادات كبيرة. المشروع الذي من المزمع انشاءه في مكان المركب القديم لكلية الحقوق سابقا لجامعة عنابة بالقرب من المدينة القديمة ومقابل فندق الشيراتون الفخم الجديد، يعرف تنديدا وتحفظات كبيرة من طرف المجتمع المدني خاصة المهتمة بالتراث نظرا لخطورة المشروع وأشغاله على المدينة القديمة الهشة، حيث قررت السلطات تجميد المشروع سنة 2018.

### 2.4 تحديات اقتصادية واجتماعية:

حتى لو فقدت المدينة القديمة بعنابة جزءًا من سكانها في العقدين الماضيين مع عمليات الإسكان إلا انها لازالت تواجه تحديات اجتماعية واقتصادية كبرى. كل هذا لم يلبث يثير التساؤل حول الشروط اللازمة لتعزيزها اقتصاديًا واجتماعيًا.

في ظل كل هذه التحديات عاد مشروع المركز التجاري للواجهة منذ سنة 2021 حيث صادقت اللجنة الولائية الاستشارية للهندسة المعمارية والتعمير والبيئة المبنية لعنابة على رفع التجميد لإنجاز مشروع المركز التجاري والترفيهي وذلك خلال جلسة استشارية ترأسها والي الولاية جمال الدين بريمي بحضور إطارات الولاية ومنتخبين وممثلين عن المجتمع المدني.

وتمت المصادقة على بعث مشروع المركز التجاري والترفيهي الذي يمثل استثمارا عموميا هاما بالنسبة للولاية عموما وللمدينة القديمة خصوصا. بعد عرضه ودراسته تم تقييم جوانبه التقنية والمعمارية مع التركيز على المكاسب الاقتصادية للمشروع، وكذا مناقشة مختلف الجوانب المرتبطة بموقع المشروع المحاذي للمدينة العتيقة لعنابة (بلاص دارم) التي تضم عددا من المعالم الأثرية المحمية بالولاية.

وخلال المناقشة التي دارت بين المشاركين وخاصة منهم ممثلو جمعية "المدينة" للحفاظ على تراث مدينة عنابة، ركز المتدخلون على ضرورة تأمين المعالم الأثرية المحاذية لموقع المشروع على غرار أسوار المدينة القديمة وحصن المعذبين والقلعة الحفصية، مع التأكيد على ضرورة تنظيم ورشة إنجاز المشروع وفق المعايير التي تضمن سلامة موقع المدينة الأثرية ومعالمها التاريخية.

وسينجز المشروع الذي صمم بطابع معماري عصري ويغطي مساحة تفوق 24 ألف متر مربع، في الموقع المذكور الذي يملك انحدارا مقدر ب 15م ناتج عن ردوم وضعت سنة 1900 خلال مشروع بناء الميناء الجديد، على هذا الأساس صمم المشروع من طرف ورشات Fabris & Partners، نظرا لهذا السياق المورفولوجي، يمكن الوصول من كلا الجانبين، الغرب والشرق، حيث يتم إنشاء ساحتين جديدتين يوفران مساحات التقاء جديدة للمدينة.

يشبه المبنى مفصلة ذات ذراعين مع محور التقاء مركزي يجمع تدفقات الزوار من المدخلين. في الداخل، يبدو المعرض أنيقًا ويتميز بخطوط متعرجة تقسم المساحات والفتحات متعددة الأضلاع في الطوابق التي تتيح المنظر في الطوابق السفلية. على الرغم من الخصائص المعاصرة؛ كان الخيار المعماري هو جعل المبنى في تواصل مع القصبة القديمة من خلال بناء الجزء السفلي في صورة الجدار الاستنادي الأصلي.

**صورة رقم (7): مخطط يمثل موقع المشروع التجاري**

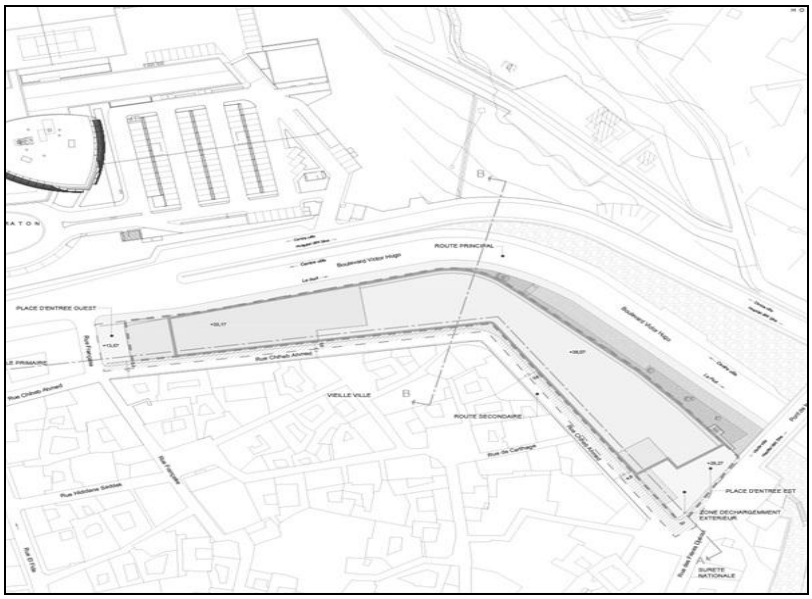


المصدر : موقع ورشات Fabris & Partners (Fabris, 2021)

**جدول رقم 2: بطاقة تقنية لمشروع المركز التجاري Shopping Mall**

| | |
|---|---|
| **المساحة الاجمالية** | 6440 م $^2$ |
| **المساحة المبنية على 5 مستويات** | 19800 م $^2$ |
| **ساحات الدخول (2)** | 420 م $^2$ |
| **مراكز التسوق ( Shopping gallery )على 5 مستويات** | 5400 م $^2$ |
| **- المحلات والفضاءات التجارية على 5 مستويات**<br>**- مطاعم ، بارات، مطاعم ذاتية الخدمة، مطاعم متخصصة** | 9300 م $^2$ |
| **- خدمات عامة**<br>**- إدارة**<br>**- محلات تسير السلع**<br>**- مخازن** | 3800 م $^2$ |
| **- مساحات خارجية و مساحات خضراء** | 2200 م $^2$ |

المصدر: من إعداد الباحثين إعتمادا على معلومات من موقع مشاريع Fabris & Partners (Fabris, 2021)

**صورة رقم ( 8 ) : صورة ثلاثية الأبعاد لمشروع المركز التجاري Shopping Mall**

المصدر : موقع مشاريع Fabris & Partners (Fabris, 2021)

**5. دراسة الأثر التراثي كأداة لإدارة العصرنة في المدينة القديمة لعنابة.**

يعد تحديث البيئة المبنية حاجة طبيعية من جانب الفاعلين في المدينة، ويصبح هذا الوضع إشكالا عندما يتعلق الأمر بدمج مشروع معاصر في القطاعات المحمية ذات الطابع التراثي كما هو الحال في المشروع الإشكالي للمركز التجاري المطروح فيما سبق ذكره.

حيث أن دراسة التأثير هي طريقة تخطيط، وتسيير وإدارة مدمجة بشكل جيد في مختلف قطاعات النشاط البشري كأداة لصنع القرار، والتي غالبًا ما تتعلق بالجانب البيئي، ولكنها لا تزال قليلة الاستخدام لمكون التراث في الجزائر وضمان مراعاة أفضل للتراث الثقافي مع المرونة في إدارته وتغيير الاتجاه الحالي الذي يميل إلى إدانة جميع التدخلات على التراث المبني والمركز التاريخي.

أما بالنسبة لحالة عنابة، لا تزال سياسة التراث آخذة في الظهور، حيث يبدو أن فرض مثل هذه الدراسة على أصحاب المشاريع أمر ضروري وسيمكن في نهاية المطاف من توعية المتخصصين في تقييم الأثر بموارد التراث الثقافي.

ومع ذلك، يجب ذكر العديد من التوصيات لتجنب أخطاء الماضي:

- ❖ يجب مراعاة جوانب التراث في وقت مبكر من العملية.
- ❖ غالبًا ما يقتصر التراث الثقافي على التراث المبني، لذلك يجب أيضًا مراعاة الجوانب غير الملموسة للثقافة في دراسات التأثير.
- ❖ هناك حاجة للمعلومات والأدوات المنهجية لقياس نتائج المشاريع المقترحة على التراث الثقافي بشكل أفضل (تقنيات التقييم، والمبادئ التوجيهية، وما إلى ذلك).
- ❖ التشاور والتنسيق مع مختلف الفاعلين يعد أيضا جانب يجب أخذه بعين الاعتبار من خلال إشراك:

- **الخبراء**: مشاركة خبراء التراث في جميع مراحل عملية تقييم الأثر وذلك كعنصر أساسي لتحسين النظر في التراث الثقافي.
- **الجمهور**: يُنظر إلى التراث الثقافي على أنه ملك للجميع ويجب أن تكون عملية المشاركة غير مقيدة. وفقًا لذلك، يجب استشارة مجموعة متنوعة من الفئات ذات الصلة لتعكس المخاوف والانشغالات بشأن التراث الثقافي. في عنابة، تظهر التحركات العديدة للجمعيات والمجتمع المدني بوضوح استعدادهم للمشاركة.
- **الحملات التوعوية**: يبدو أن أحد مفاتيح النظر بشكل أفضل في التراث الثقافي في تقييمات الأثر يكمن في زيادة الوعي، ليس لدى الجمهور، ولكن لأصحاب المشاريع. لأن افتقارهم إلى المعرفة يمس ثلاثة عناصر: وجود تشريعات وطنية تتعلق بالتراث؛ وجود تمويل لحمايتها؛ توافر الخبرات المهنية. أضف إلى ذلك نقص المعرفة حول القيم الثقافية للتراث بين مؤلفي تقييمات الأثر.

بالنسبة للحالة المحددة المتعلقة بمشروع المركز التجاري المزمع بناؤه على قاعدة حساسة مثل تلك الموجودة في المدينة العتيقة بعنابة. القيام بتقييم آثار المشروع على موارد التراث الثقافي تظهر كخطوة إجبارية. حيث انه ان كانت مثل هذ الدراسة ستأخر نوعا ما انطلاق المشروع إلا انها يمكن أن تكون في صالح المبادرين بالمشروع الذين سيستفيدون من اعتماد دراسة الأثر التراثي كأداة إدارية من أجل الحد من الإجراءات من خلال جمع جميع المعلومات المفيدة في وثيقة موجزة.

**الخلاصة:**

تعتبر المدينة القديمة في عنابة ذات أصل متعمق تاريخيا، كما أنها تشغل موقعا استراتيجيا بمحاذاة البحر المتوسط، إلا أن هذه المدينة فقدت بعض أجزائها إبان الفترة الاستعمارية الفرنسية كما تم انشاء بمحاذاتها مدينة بخصائص أوربية ذات طابع معماري مختلف تماما.

بعد الاطلاع على مختلف المجهودات التي بدلت للحفاظ على المدينة القديمة في عنابة، يمكن القول إن الآليات التي وضعت لحماية هذا التراث العمراني بقيت حبر على ورق، في ظل غياب مخطط الحماية، فتصنيفيها كمنطقة محمية فقط لا يكفي لاستعادة بريقيها الضائع مند سنوات.

هذه الورقة البحثية مكنتنا ايضا من القول أن إعادة تأهيل التراث العمراني في الجزائر يعتبر من الممارسات الحضرية الحديثة، فمن المبكر إجراء تقييم لإعادة تأهيل البيئة المبنية القديمة التي بدورها تعد عملية حديثة في الجزائر، لكن من الممكن دائمًا تقييم التجارب التي تم إجراؤها في سياق ترقية النسيج العمراني مع الإشارة أن على الجهات الفاعلة في هذا التدخل الحضري (أصحاب المشروع، مديرو المشاريع، الأكاديميون تعزيز مناقشة استراتيجيات التخطيط العمراني المتعلقة بإعادة تأهيل المباني مع قراءة نقدية للترسانة القانونية المتعلقة بذلك و تقييم العوائق والصعوبات التي يصادفها الفاعلين المعنيون.

كما يجب تدارك النقص في التكوين في المهن ذات الصلة بتأهيل وترميم التراث مع إشراك البحث العلمي ومخابر الجامعة لمتابعة مختلف الدراسات والمشاريع.

وبالنظر للخصائص الهيكلية وقواعد تأهيل الإطار المبني يبدو أنه لا يوجد مفر للجوء لعدة كيفيات للتدخل على هذا الإطار، فيكون بتبني مبدأ العملية التي تجمع ترسانة من التقنيات للحفظ على التراث المبني مثل:

- ✓ ترميم المنشآت النادرة،
- ✓ إعادة تأهيل وتجديد المنازل التي تكون حالتها التقنية لا تستدعي الحفظ،
- ✓ إعادة بناء المباني والتجهيزات في الجيوب الفارغة.

مكنتنا أيضا هذه الدراسة من تسليط الضوء على المدينة القديمة بعد أن عرضنا مختلف المراحل والظروف التي مرت بها، حيث وقفنا على ان هوية المدينة القديمة التي بنيت على عدة أبعاد (ثقافية، دينية وحضرية)، عرفت قطيعة مع وصول الاستعمار الفرنسي مما أثر سلبا على تجانسها، نشاطها وتطورها.

حيث أن الواقع الحالي للمدينة القديمة متدهور للغاية، بنايات مهدومة وسكان يفتقدون لأدني شروط الراحة، إضافة إلى تزايد مظاهر الفقر وارتفاع نسبة الآفات الاجتماعية وذلك في ظل غياب إرادة فعلية لتغير هذا الواقع باستثناء بعض العمليات المحتشمة والمبادرات الفردية من طرف السكان وأفراد المجتمع المدني على غرار جمعية تراث.

هذه الجهود ورغم أهميتيها، لا ترقى إلى حجم القضية، هذه الأخيرة تتطلب دعما ماليا وقانونيا أكبر وإرادة فعلية من أجل استرجاع ما يمكن استرجاعه من المدينة القديمة والتي تمتد عراقتها في جدور التاريخ.

فرغم التدخلات التي يقوم بها الديوان البلدي لترميم وتهيئة المدينة القديمة، على مستوى بعض المباني الا أن الدعم المالي والجهد المبذول أقل بكثير من الخطر الدائم الذي ينتظر المباني والسكان والبيوت الآيلة للسقوط، إضافة الى الأوضاع المزرية التي تعيشها المدينة.

هذه المدينة التي تشغل موقعا استراتيجيا يثير أطماع المستثمرين الراغبين في تعويضها بنسيج حضري جديد وعصري، رغم ان تكلفة ترميمها و المحافظة عليها أقل من إزالتها و تعويضها بنسيج جديد هذا من جهة، و من جهة أخرى أن إعادة الاعتبار لهويتها الثقافية و الحضرية و ربط تاريخها بمتطلبات العصر من نقل و إيواء و إزالة كل مخلفات الصورة السلبية التي رسخت، سيشكل إضافة قوية جدا في صناعة السياحة و جلب تدفقات تعود بفوائد كبيرة وذلك للقيمة التاريخية و الثقافية الكبيرة المدينة، هذا الموروث الحضري يستدعي تحكيم الضمير الجماعي لمختلف الفاعلين من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

كما ان عصرنة المدينة يمكن ان تتحقق في حالة وجود دراسات أثر تراثية مسبقة (étude *d'impact patrimonial* )بشكل جيد، وفي عنابة توجد امكانية البدء على قاعدة جيدة بما ان عملية التي تخص التراث لاتزال في بدايتها.

في الاخير مكنتنا هذه الدراسة من فتح افاق لأبحاث مستقبلية تخص المدينة القديمة، لاسيما دورها في دعم وتفعيل السياحة الحضرية في ظل حتمية وجودها وانتماءها للنسيج الحضري الاوربي والمعاصر. وذلك من خلال إبراز العلاقة والترابط بين المدينة ومختلف مكوناتها وديناميكيتها ومدى نجاح أو فشل النشاط السياحي فيها على غرار المراكز التاريخية في الدول المجاورة.

**الإحالات والمراجع**


1. باخويا د. (2016). الحماية القانونية للتراث الثقافي الجزائري. *مجلة العلوم القانونية و السياسية (العراق), 5*(2), 93-120. https://doi.org/https://www.lawjur.uodiyala.edu.iq/index.php/jjps/article/view/140/113

2. بن غضبان ف. (2011). *إعادة تأهيل المدن العربية الإسلامية بالجزائر، حالة مدينة عنابة القديمة، 2011*. قُدِّم في الملتقى الدولي ترميم و إعادة تثمين التراث المعماري, جامعة سكيكدة.

3. خديجة ا. (2022, سبتمبر 13). جريدة الكترونية الموعد اليومي. استرجع في 9 مايو، 2022, من https://elmaouid.dz/

4. سعيدون ل. (2017). ترميم المدن القديمة و اثره على صناعة السياحة ،المدينة القديمة بعنابة نمودجا . *مجلة تاريخ العلوم, 2*(8), 141-152. https://doi.org/https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/348/4/8/24142

5. عتيقة . ق. . (2012, سبتمبر 10). السلام اليوم . استرجع في 12 أبريل، 2022, من https://www.djazairesse.com/essalam/15160

6. CHAOUI, S. (2019). THE MEDINA IN ANNABA, AN HISTORIC HERITAGE TO REHABILITATE: DAR ESSOUAFA AS A STUDY CASE. *Algerian Journal of Engineering Architecture and Urbanism* , *3*(1), 20-29.

7. COTE, M., & CAMPS, G. (1988). Annaba (Hippone-Bône), Encyclopédie berbère, 5 Anacutas – Anti-Atlas. Aix-en-Provence : Edisud p 674-685.

8. DAHMANI , S. (2014). De Hippone-Buna à Annaba, Histoire de la fondation d'une métropole. Constantine : Araja édition.

9. Derdour, H. (1982). Annaba, 25 siècles de vie quotidienne et de lettres (1 م). Université de Virginie: SNED.

10. Fabris & Partners, (Shopping mall). Projets Fabris & Partners (Shopping mall) . استرجع في 7 أبريل، 2022, من http://www.fabrispartners.it/fr/projets/shopping-mall-annaba-FR/

11. Grandet,, D. (1992). Architecture et urbanisme islamiques. Algiers: OPU.

12. KABOUCHE, M. (2008). La médina de Annaba: pour quelle nouvelle stratégie d'intervention ?. قُدِّم في Conférence Internationale sur la Médina, Tlemcen.

13. MECHTA, K. (1991). Maghreb, architecture et urbanisme, patrimoine, tradition et modernité,. Paris: Publisud.

14. PICARD, C. (2003). L'inventaire des ports et de la navigation au Maghreb d'après les relations des auteurs arabes et médiévaux. in Comptes Rendus Des séances De l'Académie Des Inscriptions Et Belles-Lettres, 147(1), 227-251. https://doi.org/https://www.persee.fr/doc/crai_0065-0536_2003_num_147_1_22554

15. PROCHASKA, D. (1990). Making Algeria French: Colonialism in Bone, 1870–1920, Cambridge University Press, Cambridge. Cahiers Des études Africaines (numéro thématique ,maghreb:Récit,traces,oublis), 376-378. https://doi.org/https://www.persee.fr/doc/cea_0008-0055_1990_num_30_119_1613_t1_0376_0000_2

16. SALAH SALAH , H., & SPIGA, S. (2017). La médina de Annaba: Histoire, mémoire et Identité. Revue El Tawassol: Sciences Humaines Et Sociales, (50), 314-326. https://doi.org/https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticlepdf/27/23/2/38412

17. SALAH SALAH, H. (2018). Approche patrimoniale de medina de Annaba. L'identite urbaine comme demarche (Thèse de Doctorat). Universite Badji Mokhtar, Annaba, Algerie.

18. SALAH SALAH, H. (2020). Relevance of heritage safeguarding plans in the Algerian Medina. Journal of Cultural Heritage Management and Sustainable Development , 11(3), 226-239. https://doi.org/https://doi.org/10.1108/JCHMSD-10-2019-0126

19. ZERTI , M. ., & BENRACHI , B. L. (2021). heritage potential's mobilisation: challenges and development prospects the case of Guelma in Algeria. Journal of Cultural Heritage Management and Sustainable Development. https://doi.org/https://doi.org/10.1108/JCHMSD-11-2020-0161